تاريخ استقبال المقال: 2018/02/18 تاريخ قبول نشر المقال: 2018/05/26 ،تاريخ نشر المقال: 2018/12/01

سوسيولوجية البنية القبلية -- دراسة نظرية -
Sociology of Tibal structure - Theoretical Sudy -

د. النوعي عطاء الله *

ملخص :

يرتكز التحليل السوسيولوجي في تحديد البنية القبيلة على مفهوم القبيلة كوحدة اجتماعية أساسية بالنسبة للبشر في فترة تاريخية معينة، تندرج في إطار البناء التحتي للمجتمع، وهي بذلك تعتبر المحرك الأساسي لتاريخ الإنسان وصيرورته وتطوره وتجاوز أزماته الاقتصادية أو المادية في فترة زمنية معينة، كما أنها تفرز أنماط ثقافية مختلفة ورموزا وتكون لها بالتالي إيديولوجيا معينة تسير وفقها وتوجهها، وتعتبر بذلك جانبا من جوانب البناء الفوقي الذي يؤثر بدوره على البناء التحتي.

الكلمات المفتاحية : البنية القبلية ، القبيلة ، المجال الاجتماعي ، النظام القبلي .

Abstract :

L'analyse sociologique de la structure de la tribu repose sur le concept de la tribu comme unité sociale fondamentale des êtres humains dans une période historique donnée, qui est le moteur principal de l'histoire humaine, du développement et du développement et qui surmonte les crises économiques ou matérielles dans un certain laps de temps. Et donc avoir une certaine idéologie qui les suit et les guide.Ceci est considéré comme un aspect de la superstructure, qui à son tour affecte l'infrastructure

Keywords: tribal structure, tribe, social domain, tribal system.

* أستاذ محاضر جامعة الاغواط- الجزائر *University of Laghouat - Algeria*

مقدمة :

ما تزال مجتمعات العالم الثالث تمر بمرحلة التحلل القبلي التي بدأتها منذ مطلع هذا القرن تقريبا مع دخول الإدارات الاستعمارية والتصنيع والتعليم المدرسي ونشوء المدن الحضرية بتنظيماتها المهنية والحرفية والطبقية والثقافية المتعددة ومع تعقيد الواقع الانتقالي لهذه المجتمعات لكثرة الظواهر المتغيرة وتعدد عمليات التغير التي تواجهها، إلا أنها تشترك جميعا في حقيقة واحدة وهي انتقال أنساقها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية من أشكالها القبلية إلى نماذج حضرية. لأن العشائر كانت عموما تقطن في بقع من الأرض تدعى ديارها وقد اقترنت أسماؤها عادة بتلك الديار كما لو كانت أوطانا وكم حدثت من المعارك والنزاعات بينها على ملكية الأرض والتمسك بها كأهم أركان ووجود العشيرة ودعم هويتها. وقد التقت في ذلك الهوية القرابية والجغرافية كما لو كانت وجهين لعملة واحدة ،إن هذه الصورة الرومانتيكية للبنية القبلية والأرض لم تقاوم أمام ريح التحضر، حيث تبعثرت وحدات العشيرة نتيجة لهجرة كثير من أفرادها وأسرها إلى المدن. ونظرا أن الهجرة الريفية تسير وفقا لفرص العمل أينما تتاح فإن هذا أدى بالضرورة إلى تفرق العشائر في مختلف الاتجاهات الجغرافية لمسافات متباينة. وهكذا انفرطت وحدة التجمع السكاني والبنية القبلية إلى صورة بعيدة عنها من التشتت ومن الطبيعي أن هذا التباعد الجغرافي الديموغرافي يخلق تباعدا اجتماعيا ونفسيا بين أفراد وأسر العشيرة خصوصا حينما يمر عليه زمن طويل نسبيا. ولهذا جاءت هذه المقالة بعنوان : سوسيولوجيا البنية القبلية وسنتطرق الى هدا الموضوع من خلال العناصر التالية :

- أولا : العصبية
- ثانيا : النظام القبلي
- ثالثا : تفسيرات النظرية للقبيلة
- رابعا : البنية القبلية في المجال الاجتماعي
- خامسا : دراسات حول القبيلة في الجزائر

1- العصبية:

- التفسير اللغوي : جاء في لسان العرب أن عصبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه وعصبة الرجل أيضا أولياؤه الذكور من ورثته، سموا عصبة لأنهم عصبوا بنسبه أي استكفوا به، والعصبة والعصابة جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين والتعصب من العصبة، والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبيته والتغلب معهم على من يناوئهم الظالمين كانوا أو مظلومين وفي الحديث (يقصد بذلك حديث الرسول ﷺ العصبي من يعين قومه على ظلم ويغضب لعصبيته ويحامي عنهم **(ابن منظور،1992،ص ص 232-233).**

- **دلالات العصبية:** حسب التعريفات المتنوعة والمتعددة التي جمعها "لاكوست " هي القوة الحيوية والقوة المحركة لضرورة الدولة و" الوطنية " والوعي الوطني "" والنبل والبنية الارستقراطية والتضامن المقاتل والوضع العسكري النفسي وروابط الدم وتضامن النسب من الأبوة وهي الفضيلة والمقصود بذلك القابلية الفطرية للسلطة السياسية والعمل القتالي كذلك التعصب القبلي " ويرى فيها البعض شكلا من أشكال تضامن سكان البلد الواحد من العرب ضد سيطرة العرب وهي أيضا طبيعة وجود البدو وطريقة البدوية **(لاكوست ايه ،1982 . ص ص128-130.)**

إن الوردي يقر بأن العصبية من أهم القوانين الاجتماعية التي يجب أن يتبعها كل ذي شريعة أو دعوة دينية، فإذا بطلت العصبية بطلت الشرائع **(الوردي علي،1977 . ص ص 99-100)**

ويقصد " عبد الباقي الهرماسي " بالعصبية النزعة إلى الالتحام وكذلك النزعة إلى الانقسام، أما النزعة الأولى فالقصد منها عدم إمكانية تصور بناء سياسي على أرضية منقسمة اجتماعيا ومتغايرة ثقافيا حسب ابن خلدون الذي يؤكد بأن النزعة إلى الالتحام كانت موجودة بين البدو وضئيلة بين الحضر. أما النزعة الثانية أي الانقسام فتؤدي إلى مرحلة البناء السياسي أو إلى زوال الدولة القائمة**(الهرماسي عبد الباقي ،1987 ، ص 16)**

يذهب " محمد عابد الجابر" بوضع تعريف للعصبية بكنها " ظاهرة اجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطا مستمرا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو الجماع " وهي القوة الجماعية التي تمنح القدرة على مواجهة ومن مميزات الرابطة العصبية داخل الجماعة القبلية التي يسميها الجابري " العصبة " أنها رابطة بين الفرد والمجموعة ، أن الفرد يذوب في العصبة عندما تتعرض لخطر ما، كما أن العصبة نفسها تتقمص الفرد عندما يصاب بأذى أو يلحقه مكروه، وهكذا فالفرد عندما يتعصب لعصبته إنما يتعصب لنفسه باعتبارها ها هي إياه، وبالمثل فان العصبة عندما تهب لمناصرة أحد أفرادها والتعصب له، إنما تتعصب في الحقيقة لنفسها ، وذلك باعتبار أن هذا الفرد هو هي، إن هذا التضامن المتبادل بين الفرد وعصبيته يؤدي إلى فناء أحدهما في الأخر**(محمد عابد الجابري ،1992 ص ص 166 ، 168)**.

- مفهوم التعصب وإشكاليته:

يعلن مفكرو العصر عن قلقهم إزاء مخاطر التعصب والتميز العنصري،ويرى بعضهم أن جوهر إشكاليات القرن العشرين تكمن في طبيعة العلاقات التعصبية ولعنصرية بين الأجناس والفئات الاجتماعية والثقافية، حيث تحتل النظرية

العنصرية مكان الصدارة في مفهوم الإنسان عن ذاته**(banton ,M,1970. P7)** ، وقد استقر لدى عدد كبير من المؤرخين بأن الفترة الزمنية التي تمتد من 1850 إلى 1950 هي مرحلة التعصب والتميز العنصري **(شبرياني روبيرتو ،1987. ص62)**. ويعد مفهوم التعصب من المفاهيم التي تضج بها أدبيات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويمكن لنا في هذا السياق أن نميز في التعصب أشكالا مختلفة ومتباينة، فهناك التعصب العرقي، والتعصب الثقافي، والتعصب الديني، والتعصب الطائفي، ومع ذلك كله فإن التعصب في مختلف صوره وتجلياته يؤكد على جوهر واحد قوامه الانقياد العاطفي لأفكار وتصورات تتعارض مع الحقيقة الموضوعية.

يعرف التعصب أيضا بأنه: تشكيل رأي ما دون أخذ وقت كاف أو عناية للحكم عليه بإنصاف، وقد يكون هذا الرأي إيجابيا أو سلبيا، ويتم اعتناقه دون اعتبار للدلائل المتاحة، وبعني التعصب أيضا: الرأي السلبي اتجاه الأفراد ينتمون إلى مجموعة اجتماعية معينة، وينحو الأفراد المتعصبون إلى تحريف وتشويه وإساءة وتفسير بل وتجاهل الوقائع التي تتعارض مع أرائهم المحددة سلفا، فقد يعتقد الشخص المتعصب مثلا بأن جميع الأفراد المنتمون إلى سن معينة، أو أصل قومي أو عرق أودين أو جنس أو منطقة في بلد ما، كسالى، أو عنيفون، أو أغبياء، أو غير مستقرين عاطفيا أو جشعون**(الموسوعة العربية العالمية، 1996. ص12)**.

يتطلب تعريف التعصب،كما بين إسماعيل، تحديدا موضوعيا لخصائص المتعصب، فالمتعصب شخص يتصف بالتصلب Rigidity والتمسك الفكري أو العقائدي (الجمود الفكري) Dog-mastim ويميل إلى أفعال إرهابية terrorism**(إسماعيل عزة السيد،1996. ص28)**.

وهذا يعني أن التعصب حالة خاصة من التمسك الفكري العقائدي، حيث يجسد اتجاهات الفرد أو الجماعة نحو جماعات أو طوائف أخرى الأمر الذي يؤدي إلى تقسيمهم في إطار خاص وهو إطار سلبي عادة، على أساس انتمائهم فقط إلى تلك الجماعة أو تلك الطائفة، بعبارة أخرى يعني التعصب حالة من تنظيم وتفسير

معلومات حول جماعة أو طائفة معينة، يتم اتخاذ حالة من التعصب تجاهها(**إسماعيل عزة السيد،1996. ص30**).

وهناك التعصب القبلي والعشائري الذي يمثل أحد أشكال التعصب المميز للمجتمع العربي منذ فترات طويلة فقد حفل التراث العربي بالحديث عن التعصب القبلي في العصر الجاهلي، فالقبيلة نسق من النظم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية مثل القرى والشعائر، وتقطن القبيلة عادة إقليما معينا وتسود فيها ثقافة مشتركة ولغة واحدة وشعور قوى التضامن والوحدة يستند إلى مجموعة من العواطف الأولى(عاطف غيث، ب س، **ص86**).

2- النظام القبلي:

والرابط الذي يربط شمل القبيلة ويجمع شتاتها هو(النسب)، ويفسر ذلك بارتباط أبناء القبيلة كلها بنسب واحد وبدم واحد وبصلب واحد أعلى من صلبه انحدر أفراد القبيلة في اعتقادهم.

فالرابط الذي يربط بين أبناء القبيلة ويجمع شملها ويوحد بين أفرادها هو(الدم)، أي النسب، والنسب عندهم هو القومية ورموز المجتمع السياسي في البادية.

- العصبية القبلية:

إن أساس النظام القبلي هو(العصبية) التي تفرض بعض الحقوق والالتزامات المتبادلة، والتي تعمل على توحيد وجهات النظر المختلفة وصهرها، وشد القبائل بعضها بعضا، فتميزهم عن بقية الوحدات القبلية، ومن شروطها أن يدعو الرجل على نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أم مظلومين، فليس له أن يتساءل أهو ظالم أم مظلوم .

وتلزم العصبية أبناء القبيلة بوجوب تحمل التبعة والقيام بواجبها وتلبية ندائها فهي إذن مسؤولية جماعية.

-عصبية الأقارب وذوي الأرحام:

يتضامن أفراد القبيلة أو الفخذ أو البطن أو العائلة، الذين تجمع بينهم الأرحام القريبة، في الدفاع عن بعضهم والاستنصار لبعضهم في مختلف الوضعيات الاجتماعية، بحيث ينشأ في ضمير كل فرد شعور بنصرة أي فرد أخر، وان يثأر له، وأن يكون الجميع مستعدين للذب عن شرف عصبته، ظالمين أو مظلومين، حتى وإن اختلفت مواقفهم وتباينت وجهات نظرهم .

- عصبية القبيلة:

يتضامن أفراد كل قبيلة تجاه القبائل الأخرى في الحروب والدماء والدفاع عن المصالح والمسؤوليات المشتركة بحيث أنهم يتناصرون ظالمين ومظلومين، ويتعاونون على المسؤوليات والمغارم، وبحيث تكون الأحاسيس والمشاعر مشتركة وجماعية، فإن أي اعتداء يقع على أحد أفراد قبيلته إنما يقع على كل فرد في القبيلة، وأن من واجب كل فرد أن ينتصر ويدافع عنه، وأن يثأر له من المعتدي أومن أي فرد من أفراد قبيلته.

- عصبية التحالف القبلي أو عصبية الأحزاب:

قد تعقد قبيلتان أو أكثر بينهما حلفا وميثاقا لتكون صفا واحد، متساندا، فتنشأ عصبية بين تلك القبائل المتحالفة تدفعهم إلى التضامن في الحروب والتعاون في تبعات الدماء وهي عصبية ليست أصلية، وإنما هي طارئة.

- عصبية الولاء:

إذا التحق أحد أفراد قبيلة بشخص من قبيلة أخرى ويتولاه، فيصبح وكأنه من ذوي رحمة وقبيلته بالولاء، إذا قبل الشخص هذا الالتحاق وكان يسمى الملتحق بإسم "مولى" رقيق وكان هذا الولاء يقوم أحيانا على أساس تعاطي العهد والميثاق فيقول: دمي دمك وهدمي هدمك، وثأري ثأرك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، ترثني وأرثك

وتطلب بي،أطلب بك، وتعقل عني، وأعقل عنك " أي دفع دية القتيل التي تستحق الدفع" ولم يكن الولاء مقصورا على الأفراد، بل كثيرا ما كان تلتحق بطن أو عائلة من قبيلة لقبيلة أخرى.

- عصبية الجوار:

وذلك بأن يطلب شخص من أخر أن يجبره، أي أن يجعله في حمايته ويدفع عنه البغي والظلم، فيصبح المستجير في ذمته وجواره كأنه من نوي رحمه أو قبيلته، لأنه أصبح جارا، والغالب في الجوار أن يطلبه ضعيف في عصبته وقد يطلب شخص بعيد عن عصبيته إذا خشي الظلم في أرض هو غريب فيها.

- عصبية التقاليد:

وهو التعصب للعادات والتقاليد وشدة التمسك بها، أي أنها جزء لا يتجزأ من حياة المجتمع ولو أدى إلى الحروب وإراقة الدماء. وقد أوجب هذا النظام القبلي أن يرتبط أفراد القبيلة بعضهم ببعض برباط النسب الذي أشرنا إلى أثره في نفوسهم، ومن هنا هذه العصبية الشديدة للقبيلة، وهي عصبية فرضتها الحياة في البادية وأصبحت عندهم أساس المجتمع القبلي(محمد الخطيب ،2008، ص ص85-90).

3- التفسيرات النظرية لمفهوم القبيلة:

- المدرسة الأنثربولوجية:

لم يتوصل الأنثربولوجيون إلى الاتفاق حول تعريف محدد وعام للقبيلة وبالرغم من ذلك، فإن دراستهم تتداول ثلاثة مفاهيم أساسية حول القبيلة، فهي أداة للدلالة على التجمعات السكانية المنتشرة في بقعة جغرافية خلال فترة ما قبل المرحلة الاستعمارية، وهي أيضا كيان ذوي هوية ثقافية يتداول لغة محددة ونظاما من الرموز والمعاني، وغالبا ما تكون في حالة التصادم مع الدولة التي تمثل الشرعية السياسية، وهي أخيرا كيان سياسي يكتسب خصوصيته المتمثلة في امتلاكه نوعا من النظام السياسي ولوفي شكله البدائي والعفوي.

- المقاربة الماركسية:

يرتكز التحليل المادي التاريخي في تحديده لمفهوم القبيلة على مفاهيم مادية مرتبطة بنمط الإنتاج وملكية وسائل الإنتاج وما يترتب عن ذلك من علاقات إنتاج وتراتبات اجتماعية، فالقبيلة كوحدة اقتصادية أساسية بالنسبة للبشر في فترة تاريخية معينة، تندرج في إطار البناء التحتي للمجتمع، وهي بذلك تعتبر المحرك الأساسي لتاريخ الإنسان وصيرورته وتطوره وتجاوز أزماته الاقتصادية أو المادية في فترة زمنية معينة، كما أنها تفرز أنماط ثقافية مختلفة ورموزا وتكون لها بالتالي إيديولوجيا معينة تسير وفقها وتوجهها، وتعتبر بذلك جانبا من جوانب البناء الفوقي الذي يؤثر بدوره على البناء التحتي، فالقبيلة ظاهرة تاريخية ظهرت في التاريخ وفق شروط محددة وموضوعية وستزول في مرحلة معينة من خلال الصراعات والتناقضات، وأصناف التحالفات الداخلية والخارجية (صراع الأضداد ووحدتها)، لتبلور نوعية جديدة من التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي تبعا لمبدأ الحتمية(الهادي العروي،2005. ص ص49-51) .

- جاك بيرك والقبيلة (j.berque): يتميز جاك بيرك بتناوله الخاص للقبيلة والنظام القبلي إذ يعطي أهمية بالغة للعنصر الإيكولوجي دون إغفال العناصر الأخرى كالعادات والأعراف والتقاليد والاقتصاد والجغرافيا وأيضا التاريخ وتتحدد أهمية العنصر الإيكولوجي عند بيرك في تحديد النشاط الفلاحي وتقسيم العمل القبلي، إذ يعتبر الحجر الأساسي في فهم البنية الاجتماعية لقبيلة سكساوة، يوكد جاك بيرك منذ البداية في " ما هي القبيلة بشمال إفريقيا ؟" على ضرورة كتابة تاريخها ما دمنا لا نجد أي عمل مماثل باستثناء أعمال ابن خلدون، فالأعمال التي أنجزها الفرنسيون حول مصطلح القبيلة (المرحلة الكولونيالية)، تنطلق كلها من ثلاثة تصورات تتلخص في التصور الحدسي المؤسس لحقيقة وهمية تعتبر أن البلد مرتبط بإرث مسيحي وتصور يقوم على اعتبار القبيلة

تركة الإدارة التركية (وخاصة بمنطقة تونس والجزائر)، وتصور تصنيفي عفوي يقيمه الأهالي حول مفهوم القبيلة والذي يعني تشكيلات شديدة التنوع مثل "عرش".

لقد شكك بيرك في التفسيرات التي تعتمد على السلالة الواحدة والأصل المشترك، وأقر بالنسبة لشمال إفريقيا (سكساوة) بواقع الاختلاط والانصهار ضمن الوسط الجغرافي، معلنا تواجد أصول كثيرة متفرعة في كل المناطق بحيث نجد أسماء القبائل أينما كان في المغرب الكبير المعاصر، ومن المحتمل إذن أن تكون لبنية القبائل الحالية علاقة بالظواهر المتعددة (الاندثار، الهجرة القوية....) وبالأحداث المتشابكة التي يحفل بها ماضي شمال إفريقيا ويعتبر بيرك أن تكرار نفس أسماء المجموعات هنا وهناك يرجع إلى تقاطع جغرافي كثيف يستعصي معه تشخيص الظاهرة، كما يرجع إلى أحداث تاريخية واجتماعية بارزة مثل الانتصارات أو الهزائم، وتنقلات الغزاة أو هجرة الفارين الحيوية التي تبعث على الانتشار، والضعف الذي يقترن بالانقسام والتشتت، والتوسع أو الانكماش الذي يعرفه الاقتصادي الفلاحي أو الرعوي، وتكاثر أو اختلاط السكان والمجموعات، وأهمية أو دور الوسط الطبيعي الذي يحدد البنية والسيرورة الاجتماعية.... وبناء على هذا التصور درس بيرك قبيلة سكساوة مبرزا انعدام وجود نسق قبلي قائم بذاته بل هناك تطابق بين المستوى الطبيعي والبنية الاجتماعية. كما لاحظ انعدام اللف في سكساوة يقول جون سيلسرييه (j.celerier) " أما فيما يخص اللف الذي وصفه روبير مونطاني وأشاد بفعاليته السياسية في حفظ التوزان، فإن جاك بيرك، مثله مثل جون دريش (j.dersch)، لا يعتقد في عموميته وقاريته الشيء الذي يجعله يميل إلى تبرير حركة ديناميات أخرى من التعارض تخلق داخل المجال الاجتماعي ما يكفي من التوتر والاختلاف والتمايز والتعدد الذي يطغى على القبيلة وإلى جانب انعدام اللف وجد

بيرك تعارضا بين الإخس عند سكساوة من جهة ثم المحيط الزراعي ونظام السقي من جهة أخرى، كما وجد أن أهداف الجماعة وبنيتها العليا مجسدة في البنية العقارية وأساليب توزيع المياه، وهذا أمر طبيعي مادامت قطعة الأرض مقياس هوية الفرد ومادام النسق الاجتماعي محكوما بالأرض، فالأرض ليست فقط في تصور برابرة سكساوة عاملا اقتصاديا فقط بل هي أيضا رمزا للأصالة والقوة والتشبث بالأعراف المتوارثة (الجبل يصون العقلية المحافظة)، فالعلاقة بين العائلة الأصلية والأرض علاقة ارتباط إنطولوجي وقدسي في نفس الوقت، وهو نفس التصور الذي ذهب إليه بول باسكون (p.pascon) في التجزئة والمتراتبية عندما اعتبر القبيلة اتحادا بين مجموعة من العشائر حول ضرورات اجتماعية اقتصادية أهمها علاقة الإنسان بالأرض، هذه العلاقة غذت تمرنا على تأكيد قيم المساواة وترسيخ شرعية نظام اجتماعي وثقافي ذي جذور ضاربة في القدم.

يتضح إذن من خلال هذه الإسهامات أن القبيلة قد قدمت أحيانا كوحدة سياسية، وأحيانا أخرى كوحدة اقتصادية أو كوحدة إيكولوجية تفسر مدى إرتباط البربري بالأرض (والمغربي عامة) كرمز للقوة والتحدي والحفاظ على الرموز والثقافة الموروثة والمتجذرة في صميم المجتمع القبلي، كما يتضح أيضا أن بعضا من هذه المساهمات جعلت المجتمع المغربي بنيانا من وحدات قبلية قادرة على تقرير استقلاليتها عن النفوذ المركزي والعيش في انغلاق مؤسسي وقد توصلت هذه المساهمات من خلال بحوث ميدانية ونظرية إلى شبه إجماع على الإقرار بنظرية الأنصاف من خلال التضاد بين الوحدات الاجتماعية والحكم بالتالي، على أن القبيلة المغربية وحدة منافيه للدولة كما توضح ذلك طبيعتها المتطلعة للحرية والعصيان والتمرد، وبناء على هذه الأحكام يمكن القول بأن المساهمات السوسيولوجية والاثنوغرافية الفرنسية كانت تسعى إلى تحقيق غايتين أساسيتين:

الغاية الأولى: فهم طبيعة المجتمع المغربي من خلال فهم بنايته القبلية باعتبارها الأساس الذي شيد عليه المجتمع المدني، وفي نظر جل الباحثين الأجانب، كانت القبيلة عائقا جوهريا أمام التغلغل الفرنسي في المغرب خاصة وكل تغلغل أجنبي عامة، الأمر الذي يستدعي تجزئة بنيتها نظريا قصد معرفة آليات تنظيمها وقوتها ورهنها من أجل إحتوائها وإدماجها .

الغاية الثانية: دراستها من اجل تفكيكها وتقسيمها وتقنينها إداريا قصد تحويلها وطمس معالمها والاستحواذ على أراضيها كمركز قوتها وإخراجها من حالتها الطبيعية وإدماجها في " الحضارة الإنسانية الغربية" **(الهادي العروي ،2005 ص ص61-64)**

4- البنية القبلية في المجال الاجتماعي:

يتحدد المجال الاجتماعي القبلي بأشكال مؤسساته الاجتماعية الخاصة منها والعامة، كالعائلة والأسرة وما لهما من علاقة بمسألة القرابة والنسب والطموح إلى امتلاك رموز الهيبة والاعتبار التي تؤهل أفرادها إلى تبوء الصدارة المادية والمعنوية داخل القبيلة أو الفخذة ...، وكالجماعة ونظامها ونوعية العلاقات الداخلية التي تكونها.

- العائلة والأبوية:

إذا كانت القبيلة كجماعات بشرية كبيرة (تجمعات سكانية نشيطة) تخضع غالبا للملاحظة السوسيولوجية، فإن هناك " جماعة صغيرة (ميكروجماعية) يمكن ملاحظتها هي الأخرى وهي العائلة، "هذه العائلة التي تعيد إنتاج وضعية القبيلة في شكل بسيط وتكون بذلك صورة نووية للمجتمع الذي توجد فيه " وتعكس الامتيازات التدريجية التي يمكن أن يراكمها عبر أجيال كثيرة عن " طريق تقدم اقتصادي وتقليد دائب إزاء قيم مقبولة اجتماعيا كالممارسات الدينية، واحترام التقاليد والسلطات الاجتماعية وممارسة العمل " إن العمل، وبصفة خاصة عمل الأرض، هو الذي يحدد العائلة ويلزم أفرادها بالمهام والوظائف التي يجب أن توزع حسب طاقة الأفراد وتخصصاتهم ومهارتهم، فعمل الأرض هو لمحدد الأساسي للعائلة.

- سمات الأبوية:

وضع علماء الاجتماع سمات جوهرية للأبوية ومن بينهم بول باسوكن (P.Pascon) وقد حددوا هذه السمات فيما يلي:

- قيام الأبوية على العائلة كوحدة اجتماعية أولية، ونقصد هنا العائلة الموسعة.
- التسلسل السلالي للأب وهيمنته على جميع المجالات.
- وجود رابط نسبي وقد يكون خياليا في بعض الأحيان.
- لا إنقاسمية ميراث العائلة .
- حرمان المرأة من الإرث.
- امتلاك أفراد العائلة حق " الشفعة" في حالة البيع.
- إنتاج الرجال والسواعد.
- التضامن القرابي بين أفراد العائلة.

إن مثل هذا النظام معروف في كل المجتمعات القديمة بل إنه المؤسس لكل نظام اجتماعي عرف العائلة والأسرة، وما تزال سمات الأبوية تسم الأنظمة الاجتماعية في العديد من البلدان والحضارات، إن نظام القبلي انعكاس للنظام الأبوي كما يرى بورديو إن لم نقل إن النظام الأول مجال لتبلور وتمرير آليات الثاني، وتلتقي الجماعوية هنا في جل سماتها مع النظام الأبوي وذلك بكونها تعتمد بالأساس على اللاإنقاسمية بين أفراد العائلة.

- "أجماعة": البعد الاجتماعي لأجماعة:

لقد كانت أجماعة عبارة عن مجلس مكون من رؤساء العائلات الباطريكية التي تبدون كجماعات متحدة (corporate groupe) تملك رموزا مشتركة بين عناصرها، وتفرض ممارسات مميزة لها، وقد تجتمع هذه العائلات، ممثلة في رؤسائها في مجلس واحد وكانت أجماعة تزاول مهام سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية سواء داخل الدوار أو الفخذة أو العظم، غير أن ما يهمنا هنا هو السلوكات الاجتماعية للجماعة والوظائف التي

كانت تقوم بها، إن أجماعة تجتمع لتسهر على توزيع الأدوار الاجتماعية على العناصر النشيطة المكونة لها (نقصد عناصر العائلات **(الهادي العروي ،2005، ص ص99-104).**

5- الدراسات حول القبيلة في الجزائر:

وجدت بشكل مبكر مجموعة من الأعمال المنجزة في مرحلة الاستعمار الفرنسي انطلقت ببعض المونوغرافيات حول منطقة القبائل وركزت على بعض المجموعات القبلية دون غيرها. ولاشك في ان ذالك كان يندرج ضمن إحدى استراتيجيات الاستعمار المتمثلة في محاولة القضاء على مصادر الخطر في المناطق المعروفة بالتمرد من جهة،وفي محاولة البحث عن حلفاء أو خلق انقسام في المجتمع ينطلق مبدأ "فرق تسد"، من جهة أخرى. وكان من استراتيجيات الاستعمار أيضا توطين البدو"المشاغبين" ولذالك أصبح الاستقرار أو التوطين ايدولوجية محبذة ومشروعاً يعبئ "الضباط الباحثين" حتى يسعوا إلى تنفيذه ولا شك في ان ذلك كان يندرج ضمن إحدى استراتيجيات الاستعمار المتمثلة في محاولة القضاء على مصادر الخطر في المناطق المعروفة بالتمرد من جهة، وفي محاولة البحث عن حلفاء او خلق انقسام في المجتمع ينطلق من مبدأ (فرق تسد)، من جهة أخرى. وكان من استراتيجيات الاستعمار أيضا توطين البدو(المشاغبين) ولذلك أصبح الاستقرار أو التوطين أيديولوجية محبذة ومشروعا يعبئ (الضباط الباحثين) حتى يسعوا الى تنفيذه. ولا شك في ان ذلك قد انعكس في أبحاثهم التي أنجزوها حول المجموعات الريفية.فقد ركز ماسكراي (Masqueray) على ثلاث مجموعات جزائرية لها تقاليد عريقة في الاستقرار هي القبايل والاوراس والمزاب، متابعا التغير المورفولوجي وحركية السكان وتشكل المدن.

وفي العقود الأولى من الاستقلال تغيرت الاهتمامات في علم الاجتماع الريفي ولم تعد القبيلة موضوعا يشد اهتمام الباحثين. وكادت الأنثروبولوجيا ان تغيب عن نشاط الدراسات الاجتماعية حول الجزائر، فالمنطقات اختلفت والدوافع تغيرت. لقد أصبح المجتمع مشدودا الى مشكلات جديدة، وكذا كانت شواغل البحث العلمي. ان اهم ما طبع الحياة السياسية والفكرية في العقدين الأولين كان موضوع التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحديدا مشروع الإصلاح الزراعي. وأصبح البحث العلمي حول الأرياف في مقدمة المشاغل المهتمة بدراسة المشكلات وتقديم الحلول لها. وكان ذلك يندرج في تصور عام ساد خلال تلك المرحلة، هو تصور علم الاجتماع كعلم تحرري يعمل من اجل كسر قيود التبعية والهيمنة، ومن اجل تحقيق النمو والتقدم، فالعلم الاجتماعي حسب هذا التصور السائد في الجزائر، بل في بعض الأقطار الأخرى، هو ممارسة عملية ملتزمة بقضايا التنمية والتغيير.

ثمة اتفاق تلقائي في مسيرة اهتمامات علم الاجتماع الريفي في هذه المرحلة بين تونس والجزائر، وبشكل أقل بينهما وبين المغرب. فالمشاريع الجديدة المرتبطة ببناء مؤسسات الدولة الحديثة وتحقيق الاندماج الوطني والقضاء على مخلفات الاحتلال وتنمية المجتمع وتحديثه، كانت مشاريع معقدة بما تطلب توظيف كل الإمكانيات المتوفرة بما فيها مراكز البحث والجامعات الفتية.

لقد تركز البحث حول الأرض والفلاحة والنزوح والتصنيع والتسيير الذاتي وتوسع المدن، وكان حضور البنيات الاجتماعية التقليدية في حصيلة البحث ضعيفا او عرضيا، ويجد ذلك تفسيره في ما ذكرناه أعلاه، فضلا عن احتمال تفسيره بعوامل نفسية وأيديولوجية، تتمثل في النفور من دراسة موضوعات الاستعمار ومقارباته واعتماد المقاربات المنهجية والنظرية المناقضة للاستعمار والرأسمالية.

أما سوسيولوجيا الريف المتعلقة بدراسة المجموعات الإثنية والقبلية، تناول التركيب الاجتماعي في الريف ودراسة التطورات في الأسرة الجزائرية وحتى بقايا النمط الرعوي في الجنوب وأثر التركيبة القرابية وأشكال التضامن او تقسيم العمل التقليدي في واحات الجنوب، كل ذلك تناولته بعض الأعمال المعاصرة في إطار دراسة التحولات التي يشهدها المجتمع الجزائري. يمكن أن تدل التحولات المعاصرة في المجتمع الجزائري في المستويات

الاجتماعية والسياسية بخاصة، على تنوع في موضوعات البحث وأشكال مقاربة الواقع، وعلى خلاف مرحلة سوسيولوجيا الريف المرتبطة بالمسألة الزراعية في الستينيات والسبعينيات، فقد ظهرت مجالات جديدة في البحث مثل الحركات الاجتماعية والنخب والشباب والمرأة والعائلة والثقافة. ولاشك في أن هذا التوجه دل على نوع من التحرر من أيديولوجيا المراحل الأولى من البناء الوطني التي تمحورت حول الدولة، ولكن ذلك لم يفض بعد إلى ما أفضى إليه البحث في المغرب مثلا من تعمق في دراسة البناء الاجتماعي والثقافي في الريف وتأثيراته في استراتيجيات الفاعلين الاجتماعيين، بمن فيهم الدولة والقوى السياسية والاجتماعية كما لم يغط الاتجاه الميكروسوسيولوجي في البحث مجال البنية الاجتماعية في الريف كما غطى مجالات أخرى(**محمد نجيب بوطالب ،2001. ص ص 70-73.**)

قائمة المصادروالمراجع :

كتب باللغة العربية:

1- ابن منظور، **لسان العرب**، مؤسسة التاريخ العربي، ج9، بيروت، 1992.

2- لاكوست ايه ، **العلامة ابن خلدون**، ترجمة ميشال سليمان . دار ابن خلدون بيروت ط3 ، 1982

3- الوردي علي، **منطق ابن خلدون في ضوء حضارته و شخصيته** ، الشركة التونسية للتوزيع . تونس، 1977 .

4- الهرماسي عبد الباقي، **المجتمع و الدولة في المغرب العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1987 .

5- محمد عابد الجابري، **العصبية و الدولة معالم النظرية خلدونية في تاريخ العربي**، مركز دار الوحدة العربية ط5 بيروت 1992 .

6- شبرياني روبيرتو ، **الإيديولوجية والتسامح الثقافي**. تر: مراد وهبة، مكتبة الانجلوا مصرية، القاهرة، 1987

7- **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة الأعمال للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 1996.

8- إسماعيل عزة السيد، **سيكولوجية التطرف والإرهاب**، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت، العدد: 08، 1996.

9- محمد الخطيب، **المجتمع البدوي**، منشورات دار علاء الدين، سوريا، ط1، 2008.

10- الهادي العروي، **القبيلة الاقطاع والمخزن**، افريقيا الشرق، المغرب، 2005.

11- محمد نجيب بوطالب، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 2001.

كتب باللغة الأجنبية :

12- banton ,M: **sociologie des relations** , raciales , payot. Paris, 1970. P7.